نخس من الشيطان اياك مثير للغضب منك على جهلهم واساءتهم فيما امرت فيه من العفو والامر بالمعروف (فاستعذ) أى استجر (بالله) وادعه فى دفعه (انه سميع) لدعائك ولو حال الغضب بل لا تحتاج الى الدعاء لانه (عليم) باستعاذتك بل لا حاجة لك الى الاستعاذة لكمال تقواك (ان الذين اتقوا اذا مسهم) خاطر (طائف) أى دائر حول القلب (من الشيطان تذكروا) ما فيه من المكر (فاذا هم مبصرون) لما عليه الامر فى نفسه (واخوانهم) وهم الذين لم يتقوا لم يتأت لهم التذكر ولا ينفع فيهم الاستعاذة اذ الشياطين (يمدونهم) بتكثير الشبه والتزيين والتسهيل (فى الغى) أى الضلال (ثم) ان بولغ عليهم فى الوعظ بآيات الله واقامة الدلائل ورفع الشبه وغير ذلك (لا يقصرون) عن الغواية (و) يدل عليه انك (اذا لم تأتهم بآية) اقترحوها (قالوا لولا) أى هلا (اجتبيتها) أى انشأتها من اختيارك طريقة تشبه الاعجاز (قل) انما معجزة بالحقيقة ولا دخل لاختيارى فى انشائها بل (انما اتبع ما يوحى الىّ) بطريق الاعجاز ليعلم انها تصديق لى (من ربى) وكيف لا يكون تصديقا وليس فيه شئ من الاغواء اذ (هذا) الوحى (بصائر) أى امور كشفية يعلم المكاشفون انها (من ربكم وهدى) أى دلائل قطعية (ورحمة) ترفع شبها لكن جميع ذلك انما يظهر (لقوم يؤمنون) فيتفكرون فى حقائقه ومن أراد ذلك استمع له وانصت لذلك قال (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) عما سواه فلا حجة فيه لمن منع القراءة مع الامام فى الجهرية للاجماع على جواز اجتماع قارئين يسمع كل واحد منهما قراءة الآخر فى غير الصلاة مع ان الامام مأمور بالسكوت وقت قراءة المأموم (لعلكم ترحمون) بالاطلاع على اعجازه وفوائده الغير المتناهية فى الدنيا والآخرة ثم أشار الى ان تلك البصائر والهدى والرحمة لمستمع القرآن مع الانصات انما تتم بذكر الله فقال (واذكر ربك فى نفسك) أى باطنك (تضرعا) أى متضرعا يعنى متذللا (و) يتم التذلل بكونه (خيفة و) باللسان فوق السر (دون الجهر من القول) ليسرى أثر كل واحد منهما الى الآخر ويجتمعا على الذكر ليكون ذاكرا بالكلية ويسرى منهما النور الى سائر الاعضاء (بالغدو) وقت ابتداء النور ليكمل (والآصال) وقت انتقاصه لئلا ينتقص (ولا تكن) فيما بين ذلك (من الغافلين) بالكلية بل لا بد وان تكون ذاكرا بالقلب وان اشتغل لسانك بالغير ولا تستغن بذكره عن عبادته فانه نوع من التكبر يحترزه أهل القرب (ان الذين) تقربوا الى الله حتى صاروا (عند ربك) فى أعلى مقامات القرب (لا يستكبرون عن عبادته و) لا يستغنون بعبادته عن ذكره بل (يسبحونه و) لا يدعون الكمال لانفسهم عند ذلك بل (له يسجدون) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة الانفال)

سميت بها لانها مبدأ هذه السورة ومنتهى ما ذكر فيها من أثر أمر الحروب (بسم الله) الجامع

(باب الراء المفتوحة)

(قوله عز وجل الرحمن) ذو الرحمة لا يوصف به الا الله عز وجل (قوله عز وجل رحيم) عظيم الرحمة (قوله تعالى رب) شك (قوله عز وجل رغدا) كثيرا واسعا بلا عناء (قوله عز وجل رفث) نكاح والرفث أيضا

اللطف والقهر باعطاء القوم نصرا ومالا وسلبهما من آخرين (الرحمن) بجعل الانفال له تعميما الرحمته بتهيئة المباشرين للحرب وغيرهم (الرحيم) بامرهم بالتقوى واصلاح ذات البين فيها روى انه عليه السلام قال يوم بدر من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر أسيرا فله كذا فتسارع اليه الشبان فقتلوا سبعين وأسروا سبعين وبقى الشيوخ تحت الرايات فلما فتح عليهم قام الشبان يطلبون نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ كنا ردأ وفئة تحيزون اليها فلا تستأثروا به علينا فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفريقين فنزلت (يسئلونك عن الانفال) فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية لما رأى وعده مبطلا لحق الغانمين لذى جعله الله لهم وقال الشافعي لا يلزم الامام الوفاء بما وعد والنفل مال يشترطه الامام أو نائبه لمن يتعاطى فعلا مخطرا كتقدمه طليعة أو تهجمه على قلعة أو دلالة على طريق بلد والمعنى ان أصحابك الذين حقهم طلب الاجر الاخروى بالجهاد يتنازعون فى هذا المال حتى تحاكموا اليك يسئلونك من يستحقه (قل الانفال) ليست فى مقابلة الجهاد وانما مقابله الاجر الاخروى وهذه زائدة عليه خرجت عن ملك المشركين فصارت ملكا خالصا (لله و) رسوله خليفة فهى فى يدى (الرسول) يعطيها باذنه من يشاء (فاتقوا الله) ان تتصرفوا فى ملكه بغير اذنه (وأصلحوا ذات بينكم) أى حالة الوصلة الايمانية بينكم فلا تقطعوها بما ليس لكم (واطيعوا الله ورسوله) لو كانت لكم (ان كنتم) لله (مؤمنين) أى جارين على مقتضى الايمان من التقوى والاصلاح والاطاعة ثم أشار الى ان الجريان على مقتضى الايمان لا يحصل بدون التقوى التى هى مرجع الباقين فقال (انما المؤمنون) أى الجارون على مقتضى الايمان هم (الذين اذا ذكر الله) أى حقه (وجلت) أى خافت من هتكه (قلوبهم) فيتبعها سائر أعضائهم (واذا تليت عليهم آياته) الدالة على ما عنده لمن خاف هتك حرمته (زادتهم ايمانا) أى طمأنينة بما عنده فلا يؤثرون عليه شيأ (و) كيف يؤثرون عليه شيأ ولا يتوكلون عليه بل (على ربهم يتوكلون) والمتوكلون عليه هم (الذين يقيمون الصلوة) بلا وسوسة وهى أعظم أسباب التقرب الى الله تعالى (و) لدفع الوسوسة الناشئة من حب المال (مما رزقناهم ينفقون) فى سبيلنا ايثارا لحبنا عليه (أولئك) المؤثرون حب الله على حب ما سواه (هم المؤمنون حقا) أى البالغون أعلى مراتبه (لهم درجات عند ربهم) بدل درجات الاموال عندا لخلق على ان الاموال من أسباب المعاصى (و) هؤلاء لخروجهم عن حبه لهم (مغفرة و) لا يفوتهم الرزق المطلوب من الاموال بل لهم (رزق كريم) يخدمهم به الملوك ومن دونهم لتقربهم الى الله بالصلاة والقلع من محبة المال ثم أشار الى ان حصول تلك الدرجات والمغفرة والرزق الكريم لهم مع كراهة فريق منهم فوات النفل لحصولها للخارجين من المدينة الى بدر مع كراهة فريق منهم القتال وفوات العير فقال (كما اخرجك) أى للمؤمنين حقا ما ذكر كما هو لك ولاصحابك حين أخرجك (ربك) الذى ربالك بالنبوة لتربيك بالنصر على وجه الاعجاز (من بيتك) أى من المدينة التى لا قتال

الافصاح بما يجب ان يكف عنه من ذكر النكاح (قوله عز وجل رؤف) شديد الرحمة (قوله تعالى الراسخون فى العلم) الذين رسخ علمهم وايمانهم وثبتا كما يرسخ النخل فى منابته (قال أبو عمر سمعت المبرد وثعلبا يقولان معنى قوله عز وجل والراسخون فى العلم

فيها

فيها الى بدر للقتال (بالحق) أى بالوحى الموافق للحكمة باظهار المعجزة فى نصرك من غير أهبة (وان فريقا من المؤمنين) الذين مقتضى ايمانهم امتثال أمر الله وان لم يظهر لهم فيه فائدة (لكارهون) لامتثال أمره بالجهاد لعدم تأهبهم حتى انهم (يجادلونك فى) الجهاد (الحق بعدما تبين) انهم ينصرون فيه على خرق العادة (كأنما) فى التسيير اليه (يساقون الى الموت) سوق الدواب الى الذبح (وهم ينظرون) الموت قبل الوصول الى مكانه وذلك ان عير قريش فيها أربعون راكبا وفيهم أبو سفيان اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة فاخبر جبريل رسول الله عليهما السلام فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغهم الخبر فبعثوا الى مكة ضمضم بن عمرو فصرخ ببطن الوادى يامعشر قريش هذه أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه الغوث الغوث فمضوا الى بدر وكان عليه السلام بوادى دقران فنزل عليه جبريل بعدة احدى الطائفتين فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انما خرجنا للعير فقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب عليه السلام فقال المقداد بن عمرو يارسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لانقول لك كما قال بنو اسرائيل اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد مدينة بالحبشة لجالدنا معك من دونه فقال عليه السلام له خيرا ودعا له ثم قال عليه السلام اشيروا على أيها الناس يريد الانصار القائلين له حين بايعوه على العقبة انهم براء من كل ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصره الا على عدو دهمه بالمدينة فقال سعد بن معاذ فكانك تريدنا يارسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما امرت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف عنك منا رجل واحد ومانكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب وصدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به عينك ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى الآن احدى الطائفتين فوالله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم فهذه كراهتهم للقتال (و) أما كراهتهم لفوات العير فهى (اذ يعدكم الله احدى الطائفتين) العير أو النفير (أنها) مقهورة (لكم وتودون) أى تحبون (ان) العير لكونها (غير ذات الشوكة) أى الحدة مستعار من واحد الشوك (تكون لكم ويريد الله) بجعل النفير لكم (أن يحق الحق) أى يثبت النبوة (بكلماته) من غير أهبة منكم (و) لم يرد عليه مالكم بل أراد ان (يقطع دابر الكافرين) أى يستأصلهم فلا يترك لهم من يخلفهم وانما فعل ذلك (ليحق الحق) أى ليثبت الدين الصادق باظهار المعجزات (ويبطل) الدين (الباطل) باستئصال أهله مع ظهور شوكتهم وليس لموافقة طائفة منهم فى الباطن بل (ولو كره المجرمون) كلهم فعل ذلك

المتذاكرون بالعلم وقالا لايذاكر بالعلم الا الحافظ) (قوله رمزا) الرمز تحريك الشفتين باللفظ من غير ابانة بصوت وقد يكون اشارة بالعين والحاجبين (قوله تعالى ربانيون) كاملو العلم قال محمد بن الحنفية رضوان الله عليه حين مات ابن عباس رضى الله

obeikandl.com

(اذ تستغيثون ربكم) وهو انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه ودعا اللهم أنجز ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) لصدق استغاثتكم بامر هو مراده (أنى ممدكم بالف من الملائكة مردفين) أى تابعين للمشركين هذا اذا كسر وان فتح فمعناه مجعولين مقدمة أو ساقة والزيادة المذكورة فى غير هذه الآية لمجرد التخويف (وما جعله الله) أى الامداد (الا) لتستبشروا لكونه (بشرى) لكم بانكم أهل الامداد السماوى (ولتطمئن به قلوبكم) لا للنصر اذ لا اثر لاسباب وان جرت سنته بالفعل عندها (و) لكن (ما النصر الا من عند الله ان الله عزيز) أى غالب على الاسباب فله ان يفعل بخلاف مقتضاها لكنه لا يخالفها لانه (حكيم) ويدل على كونه للطمأنينة انه كان (اذ يغشيكم) أى يغلبكم (النعاس) أى النوم الذى يسلب عن الخائف فكان (أمنة منه و) من اعتنائه بكم الدال على نصره اياكم انه (ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة لتناسبوه فتستفيضوا منه النصر فيفيضه عليكم هذا فى الظاهر (و) فى الباطن (يذهب عنكم رجز الشيطان) أى وسوسته وذلك انهم كانوا نازلين فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين جنبا وتزعمون انكم أولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله تعالى المطر ليلا حتى جرى الوادى وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا (و) يدل على اذهابه رجز الشيطان انه كان (ليربط على قلوبكم) الوثوق على لطف الله وهذا تثبيت للباطن (ويثبت به الاقدام) على الرمل لتلبده فى الظاهر وقد ثبتها فى المعركة بامداده عز وجل اياها بالملائكة (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم) انصركم على الشياطين الموسوسة (فثبتوا الذين آمنوا) بدفع الوساوس ولا امكن الشيطان من تقوية قلوب المشركين بل (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) اى الخوف من رؤية الملائكة ولا تقتصروا على تخويفهم بل قاتلوهم (فاضربوا) اى فاقطعوا اعناقهم بوضع السيوف (فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) أى طرف قال ابن عباس اشتد رجل من المسلمين اثر رجل من المشركين فاذا هو قد خر مستلقيا امامه قد خطم انفه وشق فى وجهه كضربة السوط فأخبر به جبريل عليه السلام فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة (ذلك) وان بعد عادة لا يعد حكمة لكونه (بأنهم شاقوا) أى عادوا (الله) فلا يعد أن ينزل عسكر من جانب سمائه كيف (و) قد عادوا (رسوله) وعداوة الرسول عداوة المرسل (و) لا يعد أمرهم بالضرب فوق الاعناق وضرب كل بنان لانه نوع من الشدة التى يستحقها أعداء الله ورسوله فان (من يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) وشدة عقابه وان كان مختصة بالآخرة فلا بد فى الدنيا من مثال لها يدل عليها فيكون (ذلكم)

عنه اليوم مات ربانى هذه الامة وقال ابو العباس ثعلب انما قيل للفقهاء الربانيون لانهم يربون العلم أى يقومون به (وقال ابو عمر عن ثعلب العرب تقول رجل ربانى وربى اذا كان عالما عاملا) * (قوله عز وجل وارابطوا) أى اثبتوا ودوموا واصل المرابطة

مثالها

مثالها ودليلها ولاتتم دلالته الا بالذوق (فذوقوه و) هو وان كان مثالا لها فليس قائما مقامها لذلك (أنّ للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اعتقاد أن النصر من عند الله وانه ناصر لاوليائه وأن له شدة على أعدائه لذلك (اذا لقيتم الذين كفروا) فرأيتموهم من كثرتهم كأنهم يمشون مشى الصبيان فيزحفون على مقاعدهم (زحفا فلا تولوهم الادبار) أى الظهور بالانهزام (ومن يولهم يومئذ) فيه اشارة الى أنه يجوز توليتهم الظهور فيما لا يقيدهم قهرا على الاسلام (دبره الامتحرفا) أى قاصدا للرجوع اليهم (لقتال) بعد ايهامهم الانهزام (أو متحيزا) أى صائرا (الى) مكان (فئة) أى جماعة قريبة ليتبعه العدو فيستعين بهم (فقد باء) أى رجع (بغضب من الله) مناسب لعظمته لانه ضيع نصر الله له وأفاد العدو القاهرية بعدما استحقوا المقهورية (ومأواه جهنم) لكونه سبب قتل المسلمين فصار كقاتلهم أجمعين (و) هو وان لم يوجب الخلود فهو (بئس المصير) كيف وهو كالتكذيب لكون النصر من عند الله بعد رؤيته على خرق العادة (فلم تقتلوهم) اذ لم يصلهم ضربكم (ولكنّ الله قتلهم) على أيدى الملائكة (وما رميت) رميا موصلا للتراب الى أعينهم (اذ رميت) التراب الى جهتهم (ولكنّ الله رمى) رميا موصلا له اليها بعد رميك فعل ذلك ليقهرهم (و) لكن أمر به المؤمنين (ليبلى المؤمنين منه) لا بلاء قهر عليهم بل (بلاء حسنا) بالنصر والغنيمة وانما ابتلاهم ليدعوه فيتذللوا له ويشكروا صنعه عند رؤية حسنه (انّ الله سميع) لمن دعاه (عليم) من شكره (ذلكم) كيف لا يكون بلاء حسنا (و) لا يكون هذا الابتلاء ابتلاء قهر بمكر الكافرين بل يزداد بمكرهم حسنا (أنّ الله موهن) أى مضعف (كيد الكافرين) كيف ولا يفيدهم كيدهم شيأ فانه (ان تستفتحوا) أيها المشركون بكيدكم (فقد جاءكم الفتح) بقتلكم وأسركم قاله تهكما بهم (و) كيف يفيدكم كيدكم مع انكم (ان تنتهوا) عن كيدكم (فهو خير لكم) اذ لا يستأصلكم الله حينئذ (و) لا تتوهموا أنه ان لم يفدكم مرة يفدكم أخرى بل (ان تعودوا) الى الكيد (نعد) الى الاستئصال (ولن تغنى) أى لن تدفع (عنكم) الاستئصال (فئتكم) أى جماعتكم (شيأ) من الغنى (ولو كثرت) كيف (وأنّ الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة ولا يكون الا بقهركم وانما يكون مع المؤمنين اذا أطاعوه ولذلك قال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله) وانما تتأتى اطاعته باطاعة رسوله لذلك قال (و) أطيعوا (رسوله) واطاعتهما بترك التولى عما يسمع من كلامهما فقال (ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) ثم أشار الى أنه ليس مقتضى الايمان وحده بل مقتضى الانسانية أيضا فقال (انّ شر الدواب) كما يكون عندكم فاقد الحواس يكون (عند الله الصم) عن سماع كلماته فان سمعوا فهم (البكم) عن النطق بها فان نطقوا فهم (الذين لا يعقلون) ليعملوا بمقتضاها (و) تلك الشرّية من لوازم ذواتهم اذ (لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) سماع قبول فانه أدنى وجوه

والرباط أن يربط هؤلاء خيولهم ويربط هؤلاء خيولهم فى الثغر كل يعد لصاحبه فسمى المقام بالثغور رباطا (قوله تعالى ربائبكم) بنات نسائكم من غيركم الواحدة ربيبة (قوله عز وجل راعنا) حافظنا من راعيت الرجل

obeikandl.com

الخيرية المخرجة من الحيوانية الى الانسانية (و) لكن ليس فيهم هذا الادنى حتى انه (لو أسمعهم) مع علمه بعدم الخيرية فيهم (لتولوا) أى أعرضوا عنه ليجعلوه كغير المسموع كيف (وهم معرضون) أى معتادون للاعراض لانه مقتضى ذواتهم ثم أشار الى أن السماع وان كان أدنى وجوه الخيرية فهو المستلزم لسائر وجوهها لاقتضائها الاعمال التى تفيد حياة القلب التى بها الانتفاع لسائر وجوه الخيرية فقال (يأيها الذين آمنوا) انما يتم ايمانكم بحياة القلوب الحاصلة من استجابة الله ورسوله التى هى مقتضى ايمانكم (استجيبوا لله وللرسول) بالعمل بمقتضى ما سمعتم من الكتاب والسنة (اذا دعاكم) بأحدهما (لما يحييكم) أى للاعمال التى تحيى قلوبكم بنوره (واعلموا أن الله) اذا لم تستجيبوا له لم يفض الحياة على قلوبكم بل (يحول) أى يوقع حائل الحجاب (بين) روح (المرء وقلبه) فلا تصل الحياة من روحه الى قلبه فضلا عن أن تصل من الله اليه (وأنه) لا يتركهم فى الحجاب بحيث تغفلون عنه بل (اليه تحشرون) ليظهر لكم كونكم محجوبين عن كمالاتكم التى من جملتها الحياة الانسانية بالله (واتقوا) فى ترك الاستجابة وراء ما يحول بين المرء وقلبه (فتنة) أى عذابا دنيويا قال الله لها (لا تصيبن الذين ظلموا) بترك الاستجابة (منكم خاصة) بل عمهم ومن لم ينههم (واعلموا أن الله) مع ذلك (شديد العقاب) لتارك الاستجابة فى الآخرة (واذكروا) ان ضعفكم ضعفكم عن استجابة الله والنهى عن تركها (اذ أنتم قليل) ومع قلتكم استجيبتم لله ولم تتركوا على ضعف القلة بل زادكم اضعافا فأنتم (مستضعفون) أى مستمرون على اضعاف الناس اياكم لعدم تمكنكم (فى الارض) وان كنتم أقوياء فى الامور السماوية لاستجابتكم لله ومع تلك القوة كنتم (تخافون أن يتخطفكم الناس) أى يلتقطوكم التقاط الطائر للحبات فأزالت استجابتكم الله الخوف ممن هو دونه (فآواكم) أى جعل لكم مكانا تتحصنون به (و) لم يقتصر عليه بل جعل لكم الغلبة عليهم اذ (أيدكم بنصره و) لم يحوجكم اليهم ليغلبوكم بمنع حوائجكم اذ (رزقكم من الطيبات) أى من الغنائم (لعلكم تشكرون) باستزادة الاجابة والاستدامة عليها وعلى النهى عن تركها فهو سبب مزيد التحصن ومزيد التأييد بالنصر ورزق الطيبات ثم الشكر سبب آخر للمزيد ثم أشار الى أن الاستضعاف انما يزول بالاستجابة لا بالخيانة وأنها ليست سبب رزق الطيبات والنصر والايواء بمكان من خان من أجله فقال (يأيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم النصح لله ولرسوله وللمؤمنين (لا تخونوا الله والرسول) بتضييع شئ من الاوامر والنواهى وافشاء شئ من الاسرار (و) لا (تخونوا أماناتكم) أى ما ائتمنكم فيه أحد من الخلائق من مال أو أهل أو سر (وأنتم تعلمون) غاية قبحها بحيث يمتنع اجتماعها مع غاية الحسن الذى هو مقتضى الايمان نزلت فى أبى لبابة حين حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة فسألوه أن يصالحهم كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى أريحا وأذرعات فأبى الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا أرسل الينا أبا لبابة وكان عندهم ماله وأولاده فقالوا

اذا تأملته وتعرفت أحواله فكان المسلمون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم راعنا وكان اليهود يقولونها وهى بلغتهم سب فأمر الله عز وجل المسلمين أن لا يقولوها حتى لا يقولها اليهود وراعنا اسم منون ماخوذ

هل تنزل على حكم سعد فأشار الى حلقه بأنه الذبح قال فما زالت قدماى حتى علمت أنى قد
خنت الله ورسوله فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى
أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه فتاب الله عليه فقيل له قد
تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا أحلها حتى يحلنى رسول الله فحله (واعلموا) اذا أردتم
الخيانة لحفظ الاموال والاولاد أو ترك الاستجابة أو ترك النهى عن تركها (أنما أموالكم
وأولادكم فتنة) أى ابتلاء من الله هل تقعون بهما فى الخيانة أو تتركون لهما الاستجابة
أو النهى عن تركها (وأن الله عنده أجر عظيم) أجل مما فات منهما بالاستجابة والنهى عن
تركها أو بترك الخيانة ثم أشار الى أن من ترك الخيانة واستجاب الله ونهى عن تركها فلا
يخاف على أهله وماله وعرضه فقال (يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) بمقتضى ايمانكم
فتركتم الخيانة واستجبتم لله ونهيتم عن تركها (يجعل لكم فرقانا) ما تفارقون به سائر
الناس من المهابة والاعزاز فلا يجترئ أحد على أهلكم وأموالكم واعراضكم (ويكفر
عنكم سيئاتكم) أى قبائحكم التى تحتاجون فى دفع العار بها الى الخيانة وعدم الاستجابة
أو ترك النهى عن تركها (ويغفر لكم) اساءتكم الى الناس اذا قاتلوكم فى الاستجابة
أو قاتلتموهم فى النهى عن تركها والديون التى عليكم مما تحتاجون الى الخيانة فى أدائها
(و) لا تخافوا الوفاة تركم شئ من ذلك اذ (الله ذو الفضل العظيم) يتفضل عليكم بما يسد
عليكم الحوائج ويبدل ذلكم عزا ثم أشار الى أن المتقى كما يجعل الله له فرقانا يمنع من
الاجتراء على أهله وماله وعرضه ظاهرا يحفظه من مكر من مكر به بل يمكر له على ما كره فقال
(واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) أى يحبسوك فى بيت يسدون منافذه الا كوة يلقون منها
طعامك وشرابك حتى تموت وهذا رأى أبى البخترى بن هشام اعترض عليه ابليس دخل عليهم
حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون فى أمره حين سمعوا بايمان الانصار فأتاهم فى صورة
شيخ من نجد فقال بئس الرأى لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الى أصحابه فيوشك
أن يثبوا عليكم ويأخذوه من أيديكم (أو يقتلوك) وهذا رأى أبى جهل قال أرى أن
تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فتضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى قبائل فلا
يقوى بنو هاشم على قتال جميعهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فاستحسنه ابليس (أو
يخرجوك) قاله هشام بن عمرو فاعترض عليه ابليس بأنكم تعمدون الى رجل قد أفسد
سفهاءكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه وأخذ
القلوب بما يسمع من حديثه لئن فعلتم ذلك يستميل قوما آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم
من بلادكم فأتى به جبريل وأخبره الخبر وأمره أن لا يبيت فى مضجعه فقال لعلى بن أبى طالب
كرم الله وجهه ان يلزم مضجعه متسجيا ببرده فلا يصل اليه منهم ما يكره ثم خرج عليه
السلام وأخذ قبضة من تراب فأخذ الله بأبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رؤسهم وهو
يقرأ انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى مع أبى بكر الى الغار وبات

من الرعونة أى لا يقولوا
حقا وجهلا (قوله عز
وجل الرجفة) أى حركة
الارض يعنى الزلزلة
الشديدة (قوله عز وجل
رجت الارض) أى
انبعث (قوله عز وجل
روع) أى فزع (قوله عز
وجل رعد) روى عن

obeikandi.com

المشركون يحرسون عليا يحسبون أنه النبي فلما أصبحوا ساروا اليه ليقتلوه فرأوا عليا فقالوا أين صاحبك فقال لا أدري فاتبعوا أثره فلما بلغوا الغار رأوا نسج العنكبوت على بابه فقالوا لو دخله لم يبق لنسج العنكبوت أثر فمكث فيه ثلاثا وخرج (ويمكرون) في حق سائر المتقين (ويمكر الله) أي يدبر بخفية ما يبطل مكرهم في حقهم (والله خير الماكرين) أي أعظمهم تأثيرا (و) كيف لا يمكر الله عليهم وهم يمكرون على آياته فانه (اذا تتلى عليهم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا العجز غيرنا عنها (قالوا قد سمعنا) مثل هذا من بلغائنا (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وان لم يبلغ حد أولئك البلغاء ولا اعجاز فيها باعتبار اخباره عن الغيب (ان هذا الا أساطير الاولين) أي أخبار كاذبة سطرها الاولون وهذا منهم مع ايثارهم المقاتلة بالسيوف على مقابلة الحروف وعلمهم بأن أخباره موافقة لكتب الانبياء المتقدمين وما تواتر عنهم (واذ قالوا) عندما ألزموا الاعجاز الدال على حقيته (اللهم ان كان هذا) الكلام الادنى من حد الاعجاز (هو الحق) المعجز بحيث يعلم كونه (من عندك فأمطر علينا) لعاندتنا معك (حجارة) ترجمنا بها على أشد الوجوه لازدياد ثقلها بكونها من أبعد الاماكن العالية (من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) أبلغ في الايلام من الاحجار فقال تعالى دفعا لمكرهم بانه لو كان حقا لعجل لهم العذاب (وما كان الله ليعذبهم) وان تحقق سبب وقوعه على الفور من استعجالهم اياه على أشد وجوه المعاندة مع الله والمكر بعباده (وأنت فيهم) أي في مكانهم لانه لو نزل فيه لاصاب كل من كان فيه (وما كان الله معذبهم) وان أمكنه فخلصك من العذاب النازل في مكانهم (وهم يستغفرون) أي يتوقع منهم الاستغفار ثم أشار بأن المانعين المذكورين انما منعا من العذاب الدنيوي دون الاخروي فقال (وما لهم ألا يعذبهم الله) على ذلك (و) قد استحقوه على ما هو أدنى منه اذ (هم يصدون عن المسجد الحرام) مع انهم لا يستحقون صد أحد عنه لانه انما يستحقه من كان وليه فان له أن يصد عنه عدوه (وما كانوا أولياءه) ولا المؤمنون أعداءه بل الامر بالعكس لانه (ان أولياؤه الا المتقون) فلهم أن يصدوا المفسدين عنه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أنهم المفسدون (و) ليسوا بصلاتهم أولياءه لانه (ما كان صلاتهم عند البيت) الذي يتوجه اليه المصلون لغاية حرمته (الا) مبطلة لحرمته لكونها (مكاء) تصفيقا (وتصدية) أي تصفيرا وتسميتهم ذلك صلاة كفر (فذوقوا العذاب) على الصلاة التي ادعيتم بها ولاية البيت (بما كنتم تكفرون) ثم أشار الى أن صدقاتهم أيضا كفر فقال (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم) على نهج الصدقة (ليصدوا عن سبيل الله) الذي يطلب بالصدقة قطعه للوصول الى غاية المطالب كالمطعمين يوم بدر وهم أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وربيعة بن الاسود والحرث بن عامر والعباس بن عبد المطلب كان يطعم كل واحد منهم الجيش يوما بعشر جزور (فسينفقونها) بلا فائدة دنيوية ولا دينية (ثم) اذا اطلعوا على كونها

النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وقال ابن عباس الرعد ملك اسمه الرعد وهو الذي تسمعون صوته والبرق

بلافائدة (تكون عليهم حسرة ثم) لايقتصر فى حقهم على حسرة عدم الفائدة بل يزاد
فيها حيث يعكس عليهم مطلوبهم اذ (يغلبون و) لايقتصر على مغلوبيتهم بل (الذين
كفروا) أى ماتوا على الكفر منهم وهم غير العباس وحكيم بن حزام (الى جهنم) لا الى غيرها
كشهداء المسلمين (يحشرون) أى يساقون وانما حشروا الى جهنم وشهداء المؤمنين الى
الجنة (ليميز الله) القبيل (الخبيث من) القبيل (الطيب ويجعل) العمل (الخبيث) للقبيل
الخبيث من الانفاق وغيره (بعضه على بعض) بلافرجة بين العالى والسافل (فيركمه) أى
فيكثفه (جميعا) ليزدادوا ثقلا (فيجعله فى جهنم) على رأسه لتضعيف العذاب عليه دائما
بلاتخفيف اذ (أولئك) البعداء فى رتبة جمع الخبائث (هم الخاسرون) وجوه الخيرات التى
بها التخفيف فان زعموا أن هذه الخبائث المتراكمة لاترتفع بالاسلام وحده فلافائدة فيه
(قل للذين كفروا) أى ثبتوا على الكفر لرؤيتهم عجزهم عن دفع خباثتهم المتراكمة (ان
ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف) من الخبائث المتراكمة وغيرها فان نور الاسلام اذا قوى على
اذهاب ظلمة الكفر فهو أقوى على اذهاب سائر الظلمات (وان يعودوا) الى الكفر والخبائث
بعدما سهل عليهم ازالتهما فكأنهما أزيلتا عنهم لم يؤخر أمرهم الى الآخرة (فقد مضت سنت
الاولين) بصب العذاب الدنيوى على المعاندين (و) لولم يعجل عذابهم (قاتلوهم حتى لاتكون)
أى لاتوجد (فتنة) أى اضلال لمن بعدهم (ويكون الدين كله لله) فلايسقط الجهاد
مادام أحد على دين باطل (فان انتهوا) بالقتال عن الكفر والخبائث ظاهرا (فان الله
بما يعملون) بواطنهم (بصير وان تولوا) أى أخذوا على مقاتلتكم أولياء من الكفار
(فاعلموا أن الله مولاكم) أى حافظكم عنهم وناصركم عليهم (نعم المولى) أى الحافظ فلا
يضيع من تولاه (ونعم النصير) لايغلب من نصره (و) من توليه لكم قسمة الغنائم بجعل بعض
أقسامها لمن هو سبب نصركم فهى من نصره اياكم وتوليه لكم (اعلموا أنما غنمتم من شئ) قل
أو كثر وهى ما أخذ المسلمون عنوة من الكفار (فان لله) الذى منه النصر المتفرع عليه
الغنيمة (خمسه) كخمس الركاز شكر اله على نصره واعطائه الغنيمة باخراج جزء منها
(و) ذلك الخمس يعطى خواص عباده فيعطى خمس منه (للرسول) الذى هو الاصل فى أسباب
النصر وللامام بعده يصرفه فى المصالح كرزق نفسه وأهله والولاة والعلماء والأئمة والمؤذنين
وسد الثغور والاسلحة وغير ذلك (و) آخر (لذى القربى) بنى هاشم والمطلب لاعبد شمس
ونوفل لانهم قاربوه فى سببية النصر واعدم مخالفتهم اياه فى الجاهلية والاسلام (و) آخر حق
(اليتامى) من مات آباؤهم ولم يبلغوا لانهم ضعفاء فلهم أثر فى النصر ويشترط فيهم الفقر
(و) آخر حق (المساكين) لانهم أيضا ضعفاء كاليتامى (و) آخر حق (ابن السبيل) وهو
المسافر لان دعاءه أقرب الى الاجابة لكونه بظهر الغيب فله دخل فى النصر وانما قدرنا
كذلك لئلا يلزم تسديس الغنيمة مع حرمان الغانمين أو جعل الخمس لله والاربعة للخمسة مع
حرمان الغانمين أيضا ولا قائل به والاربعة الباقية من أصل الغنيمة لاهل الوقعة للفارس

سوط من نور يزجر به
الملك السحاب وقال أهل
اللغة الرعد صوت
السحاب والبرق نوره وضياء
السحاب (قوله عز
وجل وابيا) عالياعلى
الماء (قوله تعالى ردوا
أيديهم فى أفواههم) أى
عضوا أناملهم حنقا

obeikandl.com

ثلاثة أسهم ولغيره واحد (ان كنتم آمنتم بالله) فمقتضى الايمان بالله الشكر على نصره واعطائه الغنيمة (وما أنزلنا) من النصر (على عبدنا) المناسب افيضنا عليه فهو الاصل فى النصر ويقاربه أقاربه ثم الضعفاء (يوم الفرقان) أى يوم بدر الفارق بين أهل الحق والباطل مع ضعف الاولين وقوة الآخرين فى الظاهر فأثر أثر الضعف فى النصر (يوم التقى الجمعان) فلابد من اعطاء الضعفاء (و) لا يبعد من الله أن يجعل النصر أثر الضعف والقهر أثر القوة اذ (الله على كل شئ قدير) وقد زاد ضعفكم (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) أى بشفير الوادى الاقرب من المدينة (وهم بالعدوة القصوى) أى شفير الابعد (و) زادكم ضعفا آخر انقطاع رجائكم من الركب اذ (الركب) أبو سفيان وأصحابه (أسفل منكم) أى ساحل البحر بقدر ثلاثة أميال من بدر (و) قد بلغ ضعفكم الى حيث (لو تواعدتم) القتال (لاختلفتم فى الميعاد) هيبة منه ويأسا من الظفر (ولكن) جمع الله بينكم (ليقضى الله أمرا) من نصر أوليائه وقهر أعدائه (كان مفعولا) أى كالواجب فعله لان فى نصركم مع ضعفكم وقهرهم مع قوتهم دليلا على قوة دينكم وضعف دينهم كما قال (ليهلك) أى يظهر هلاك دين (من هلك) بهلاك دينه (عن بينة) أى دليل ظاهر (ويحيى) أى وليظهر حياة دين (من حى) بحياة دينه (عن بينة و) لا يضر فى التبيين عناد المعاندين (ان الله لسميع) لعنادهم (عليم) بما يقطعه لكنه لم يقطعه عنهم ابقاء للتلبيس عليهم لاقتضاء الحكمة اياه كما لبس عليكم (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) لتخبر أصحابك بقلتهم فتتقوى قلوبهم على محاربتهم ولما كانوا اذلاء مقهورين كانوا قليلين فى المعنى (و) الحكمة فى التلبيس أنه (لو أراكهم كثيرا لفشلتم) أى جبنتم (و) لو لم تتفقوا على الجبن (لتنازعتم) أى اختلفتم (فى الامر) أى أمر الاقدام والاحجام ومثل هذا التلبيس لا يمتنع على الحكيم وانما هو التلبيس الذى يضر بالملبس عليه ولم يضركم به (ولكن الله سلم) الملبس عليه عن الفشل والتنازع الذى علمه من أخلاق الملبس عليه (انه عليم بذات الصدور) أى بالاخلاق التى هى صواحبات الصدور (و) لم يقتصر على التلبيس المنامى بل لبس فى اليقظة أيضا لتبقى جراءة أصحابك (اذ يريكموهم) لا عن بعد بل (اذ التقيتم فى أعينكم) لا فى خيالكم أو الحس المشترك منكم على ما فى المنام (قليلا و) قد لبس عليهم أيضا فى اليقظة لئلا يهربوا اذا رأوا كثرتكم اذ (يقللكم فى أعينهم) فى اليقظة لا لغرض التلبيس المضر بالملبس عليه بل (ليقضى الله أمرا) من اظهار الخوارق الدالة على صدق دين الاسلام وكذب دين الكفرة وهو نافع على الاطلاق لذلك (كان مفعولا) أى كالواجب فعله على الحكيم لما فيه من الخير الكثير (و) لا يبعد ايجاد الخوارق اذ لا تأثير للاسباب بل (الى الله ترجع الامور) لا الى الاسباب فلا يبعد ايجاد شئ على خلاف مقتضاها (يا أيها الذين آمنوا) بأن الله قادر على النصر مع الضعف وقد فعل لاظهار صحة دين الاسلام لا تضعفوا عند المحاربة بل (اذا لقيتم فئة) أى جماعة من العدو (فاثبتوا) للقائهم بالقوة (و) لا تعتمدوا على ثباتكم بل (اذكروا الله) الثابت من الازل الى الابد ليفيض عليكم

الثبات

وغيظا بما أتاهم به الرسل كقوله عز وجل واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وقيل ردوا أيديهم فى أفواههم أن أومؤا الى الرسل أى اسكتوا (قوله رواسى) ثوابت يعنى جبالا (قوله عز وجل رجلك) أى رجالتك

الثبات المستمر ولا يكفي فيه القليل فاذكروه (كثيرا) بحيث يحضركم روحانية الذكر (لعلكم تفلحون) بفيضان الثبات المستمر (و) هذا الفلاح منوط باطاعة الله ورسوله لذلك (أطيعوا الله ورسوله و) يبطل اطاعتهما التنازع لذلك (لا تنازعوا) باختلاف الآراء (فتفشلوا) أي فتجبنوا اذ لا يتقوى بعضكم ببعض (وتذهب ريحكم) أي القوة التي تنفذ من البعض في البعض نفوذ الريح (واصبروا) على مخالفة أهويتكم الداعية الى التنازع فالصبر مستلزم للنصر (ان الله مع الصابرين) بالنصر ثم أشار الى أن طالب النصر من الله يجب أن يكون خروجه من بيته لله ويستمر عليه الى حين القتال فقال (ولا تكونوا كالذين) أي مشابهين لهم بوجه فضلا عن أن تتصفوا بصفتهم (خرجوا من ديارهم) وان غيروا نيتهم حين القتال لكن يكون للاولى أثر (بطرا) أي فخرا بالشجاعة (ورئاء الناس) طلب الثناء بها (و) كيف لا يكون لهذه النية أثر وهم (يصدون) أنفسهم بها (عن سبيل الله) والنية في أول الامر تؤثر في جميعه وكيف تطلبون بهذه النية النصر من الله (والله بما تعملون محيط) فيحيط بكم جزاؤه فلا يليق للنصر الذي هو جزاء ضده سبيل اليه (و) اعتقاد كون البطر والرئا من أسباب النصر انما هو من تزيين الشيطان فاذكر (اذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التي هي أسباب القهر فأراها اياهم أسباب النصر (و) بالغ في وعد النصر اذ (قال) متصورا بصورة سراقة ابن مالك حين ذكرت قريش ما بينهم وبين بني بكر من الحروب (لا غالب) أحد دافعا (لكم) عن مرادكم (اليوم من الناس وانى جار) أي مجير (لكم) قاله قبل اجتماع العسكرين (فلما تراءت الفئتان) أي تراءت كل واحدة صاحبتها من بعد فرأى الملائكة نازلة من السماء (نكص على عقبيه) أي ولى هاربا على قفاه وكانت يده في يد الحرث بن هشام فدفع في صدره (وقال انى برئ منكم) أي من عهد جواركم (انى أرى) من الملائكة النازلة لامداد المؤمنين (ما لا ترون انى أخاف الله) أن يعذبني قبل القيامة (و) لا يبعد مع اهمالي اليها اذ (الله شديد العقاب) فالاهمال انما يكون باعتبار العذاب الاخروي الذي هو أشد من الدنيوي الموعود لاهل عداوة المؤمنين اليوم فانهزم الناس فلما رجعوا الى مكة قالوا هزم الناس سراقة بن مالك فبلغه فقال قد بلغني أنكم تقولون هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما أسلموا علموا انه كان الشيطان وانما قال الشيطان لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم حين رأى الضعف في المؤمنين (اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) أي ضعف ايمان (غر هؤلاء) المقاتلين مع اضعافهم (دينهم) فظنوا أنه ينصرهم (و) يكفيهم من دينهم في نصرهم توكلهم فان (من يتوكل على الله) ينصره على اضعافه بالغين ما بلغوا (فان الله عزيز) أي غالب على ما أراد ولا بد أن يريد نصر أوليائه لانه (حكيم) والحكمة تقتضي نصرهم ثم أشار الى أنه لا غرور في أن يموت شهيدا بل في ان يحيى كافرا فقال (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا) ولو بعد ما فازوا بمقدار من الحياة الدنيوية (الملائكة يضربون) بسياط من النار قبل وصولهم الى القبر والقيامة (وجوههم) ما أقبل

(قوله عز وجل الرقيم) لوح كتب فيه خبر أصحاب الكهف ونصب على باب الكهف والرقيم الكتاب وهو فعيل بمعنى مفعول ومنه كتاب مرقوم أي مكتوب ويقال الرقيم اسم الوادي الذي فيه الكهف

منهم (وأدبارهم و) يقولون لهم ضما للعذاب العقلى الى الحسى (ذوقوا) من ضربنا اياكم (عذاب الحريق) أى النار الملتهبة فى جراحاتكم وليس ذلك منا ابتداء بل (ذلك) الضرب الشديد (بما قدمت) الى الله تعالى (أيديكم) من الكفر والمعاصى الموجبة لغضب الله (و) هو وان اشتد غضبه لا يظلمكم (ان الله ليس بظلام للعبيد) وان بالغ هذه المبالغة فى تشديد العذاب ولا يعد هذا الضرب من الملائكة قبل القيامة فان غايته أنه تعذيب دنيوى فهو (كدأب آل فرعون و) دأب الكفرة (الذين من قبلهم) ممن سار مسير هؤلاء فى أنهم (كفروا بآيات الله) فلم يبالوا بمعاصيه (فأخذهم الله) قبل يوم القيامة (بذنوبهم) وان أخر التعذيب بها فى حق البعض لانهم اجترؤا على معاصيه بما رأوا لانفسهم من القوة فضعفهم اظهارا لقوته (ان الله قوى) على أن تأخير العذاب انما يكون للرحمة لكنه لما اشتد عنادهم اشتد غضبه لانه (شديد العقاب) لمن اشتد عناده معه فلا يكون فى حقه رحمة (ذلك) التعذيب الذى علم كونه مؤاخذة بالذنوب (بأن الله) جرت سنته على أنه (لم يك مغيرا نعمة) وان كان مغيرا للشدة كثيرا بغير تغيير أهلها ما هم عليه (أنعمها على قوم) وان كان يغير ما أنعم على واحد أو اثنين من غير تغيير لما هو عليه (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من موجبات تلك النعم من اعتقاد أو قول أو عمل (و) يغير اذا غيروه غضبا عليهم بما يسمع منهم أو يعلم (أن الله سميع عليم) وقد جرت به سنته (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) كانه مبدأ تغييرهم أنهم (كذبوا بآيات ربهم) أى الذى رباهم بالنعم فصرفوها الى غير ما خلقت له بمقتضى تلك الآيات فكانت ذنوبا (فأهلكناهم) زيادة على سلبه النعم (بذنوبهم) بما صرفوا بها النعم الى غير ما خلقت له (وأغرقنا آل فرعون) لاغراقهم النعم فى بحر الانكار بنسبتها الى فرعون حيث أقروا بالهيته (و) غيرهم وان لم يغرقوا فى الدنيا فى بحر يغرقون فى الآخرة فى بحر النار اذ (كل كانوا ظالمين) بصرف النعم الى غير ما خلقت له وهو نوع من الاغراق لها فى بحر الانكار لانه مرجع التغيير لها ثم أشار الى أنه عز وجل كيف يترك نعمه على من غير أحواله التى كانت أسباب النعم وقد كان بها انسانيته فبتغييرها لحق بالدواب وبانكار المنعم صار شرا منها فقال (ان شر الدواب عند الله) وان كانوا عند الناس أعقل الناس (الذين كفروا) والنعم تسلب ممن لا يعرف قدرها فكيف لا تسلب ممن ينكر المنعم وهو وان أدام عليهم النعم (فهم) يديمون انكار المنعم اذ (لا يؤمنون) ويدل على عدم ايمانهم بالله نقضهم عهوده لكونهم (الذين عاهدت منهم) وعهدك بمنزلة عهد الله (ثم ينقضون عهدهم) لا مرة واحدة أو مرتين حتى يقال بعودهم الى الايمان بل (فى كل مرة) كيف والمؤمن لابد وان يتقى الله فى نقض عهوده فى بعض المرات (وهم) بتكرار النقض عاصون فعلم أنهم (لا يتقون) أصلا فهم فى معنى الآمنين من مكر الله وهم الكافرون واذا اعتادوا نقض العهد فى كل مرة (فاما تثقفنهم) أى فان تحقق مصادفتك ناقضى العهد (فى الحرب فشرد بهم) أى فافعل بهم ما يفرق اجتماعهم على النقض على خفية بحيث يشبه فعل من يفعل

(قوله وربطنا على قلوبهم) أى ثبتنا قلوبهم وألهمناهم الصبر (قوله رتقا ففتقناهما) قيل كانت السموات سماء واحدة والارضون أرضا واحدة

(من خلفهم) أى وراء ظهورهم (لعلهم يذكرون) أى يتعظون (واما تخافن من قوم خيانة) أى وان تحقق لك من قوم خوف الغدر بظهور آثاره فيهم (فانبذ اليهم) أى فألق اليهم عهدهم (على سواء) أى على طريق ظاهر يستوى فى معرفته الكل لئلا يكون فيه شئ من الغدر اذ هو خيانة وان كانت فى مقابلة خيانتهم (ان الله لا يحب الخائنين) وحبه الغدر فى الحرب انما هو بعد نبذ العهد (ولا تحسبن الذين كفروا) عند نبذ العهد الموقظ لهم انهم (سبقوا) أى غلبوا لان السبق منهم اعجاز منهم لله فى وعده النصر للمؤمنين (انهم لا يعجزون) ان كسر فالجملة تعليلية وان فتح قدر لام التعليل (وأعدوا لهم) لدفع توهم سبقهم (ما استطعتم من) تحصيل (قوة) ما يتقوى به فى الحرب من الآلات سيما الرمى (ومن رباط) أى شد (الخيل) ولا يكون اعدادكم للخيلاء بل (ترهبون) أى تخوفون (به) أى بذلك الاعداد (عدو الله) باثبات الشرك وابطال كلمته (وعدوكم) أى الذى يظهر عداوتكم فتخوفونهم لئلا يحاربوكم باعتقاد القوة فى أنفسهم دونكم (و) ترهبون قوما (آخرين من دونهم) أى من دون من يظهر عداوتكم وهم المنافقون وان كنتم (لا تعلونهم) انهم يعادونكم لكن (الله يعلمهم) انهم اعداؤكم يظهرون عداوتهم اذا رأوا ضعفكم (و) لا تخافوا من انفاق المال فى اعداد القوة ورباط الخيل فانه (ما تنفقوا من شئ فى سبيل الله) فيه اشارة الى أن المنفق فى سبيل الغير لا يجب تعويضه (يوف اليكم) عوضه فى الدنيا من الفئ والغنيمة والجزية والخراج (و) لو فاتكم ذلك (انتم لا تظلمون) بمنع جزائه فى الآخرة (و) عند رؤية اعداد القوة ورباط الخيل (ان جنحوا) أى مالوا وانقادوا (للسلم) أى للصلح (فاجنح لها) أى فمل الى موافقتهم منقادا لها وان قدرت على محاربتهم لان الموافقة ادعى لهم الى الايمان (و) لا تخف فى الصلح مكرهم بل (توكل على الله) فانه يعصمك من مكرهم اذا دعوته واستعذت به مع التوكل (انه هو السميع) لدعوتك واستعاذتك (العليم) بتوكلك وبكيفية العصمة (وان يريدوا أن يخدعوك) بالصلح لتترك اعداد القوة ورباط الخيل (فان حسبك) أى كافيك (الله) وان لم يكن لك اعداد قوة ولا رباط اذ (هو الذى أيدك) بنصره) بيدر من غير اعداد قوة ورباط (و) الآن قد أيدك (بالمؤمنين و) أقامهم مقام اعداد القوة والرباط اذ (ألف بين قلوبهم) بعد ما كان فيها العصبية والضعفية فتقوى بعضهم ببعض وليس هذا التقوى دون التقوى بالاعداد فان ذلك مقدور للبشر وهذا ليس بمقدور له اذ لا يحصل بالمباشرة ولا بانفاق المال حتى انك (لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) اذ لا تدخل تحت قدرة البشر لكونها من عالم الغيب (ولكن الله) لاستيلائه على الغيوب (ألف بينهم انه عزيز) أى غالب على كل ظاهر وباطن وقد اقتضت الحكمة ذلك لما فيه من تأييد دينه واعلاء كلمته وهو (حكيم) والغلبة مع الحكمة كالموجبة ثم قال (يا أيها النبى) أى الذى نبئ بالحقائق الالهية (حسبك الله) وان لم يكن معك أحد (و) ان نظرت الى السببية حسبك (من اتبعك من المؤمنين)

فخلقهما الله عز وجل وجعلهما سبع سموات وسبع أرضين وقيل كانت السماء مع الارض جميعا واحدة ففتقهما الله بالهواء الذى جعل بينهما وقيل فتقت السماء بالمطر والارض بالنبات (قوله تعالى ربت) انتفخت

وان لم يألفهم من لم يتم اتباعهم لك فان لمتابعتك أثرا عظيما فى سببية النصر (يا أيها النبى) اذا كان لمتابعتك هذا الاثر فأمرك أكثر تأثيرا (حرض المؤمنين) أى حثهم (على القتال) وان كان العدو عشرة اضعافهم فانهم يغلبونهم اذا صبروا (ان يكن منكم عشرون) اشترط فى المؤمنين كثرة تصلح للمقاومة (صابرون يغلبوا مائتين) عشرة امثال عشرين (و) لا يضر تضاعف عدد الكفار الى الغاية اذا كان المؤمنون عشرة حتى (ان يكن منكم) من المؤمنين (مائة) صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) ذلك الغلبة للمؤمنين (بأنهم) يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة لانهم (قوم لا يفقهون) بالامور الاخروية فيرجون ثوابها ويؤثرون حياتها على الحياة الدنيا والمؤمنون يرجون من الثواب والقرب من الله ما يتشوقون به الى الموت شوق العطشان الى الماء وكان هذا عند ظهور قوة المؤمنين فلما ضعفوا نسخه الله تعالى فقال (الآن خفف الله عنكم) لانكم (و) ان زدتم وزادت قوة الاسلام (علم أن فيكم) الآن (ضعفا) فى الصبر من رؤيتكم الاستعانة بالجماعة الكثيرة من المؤمنين (فان يكن منكم مائة صابرة) أخذ هنا فى الاقل من الكثرة ما يزيد على كثرة الاقل هناك (يغلبوا مائتين) ضعفا واحدا (وان يكن منكم ألف) فهم مع غاية الكثرة لا يقاومون أكثر من الضعف الواحد بل غايتهم ان (يغلبوا ألفين) وليست الغلبة مقتضى العدد بل (باذن الله و) لكن لو صبروا مع الضعف فليس لهم حكم الضعفاء اذ (الله) يقويهم لكونه (مع الصابرين ما كان لنبى) أمر بالتحريض على القتال (أن يكون له أسرى) يفديهم لان الطمع فى الفداء مانع من قتل المفدى (حتى يثخن) أى يثقل الكفر على المنتشرين (فى الارض) بتكثيرة قتلهم حتى يقل حربهم ويذلوا ويعز الاسلام ويستولى أهله (تريدون) مع ما نبهتم على لسان النبى صلى الله عليه وسلم من مذام الدنيا ومناقب الآخرة (عرض الدنيا) الزائل الحقير (و) تخالفون مراد الله اذ (الله يريد الآخرة) ان تحصل لاكثركم باهدائكم اياهم هداية خالصة عن شبه الكفرة (و) لا يحتاج الى اهدائكم اذ (الله عزيز) أى غالب على ما أراد من الاهداء وغيره لكنه فى جعلكم سبب الهداية (حكيم) اذ يريد بذلك اثابتكم ثوابا عظيما ولكنكم خالفتم هذه الحكمة التى هى من العظمة بحيث (لولا كتاب) أى عهد (من الله سبق) انه لا يعذب المخطئ فى اجتهاده (لمسكم) أى أصابكم (فيما أخذتم) أى فى أخذكم الفداء من أسارى بدر (عذاب عظيم) يقدر بطالكم الحكمة العظيمة وذلك انه عليه السلام أتى يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب فاستشار أصحابه فيهم فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية يقوى بها أصحابك. وقال عمر اضرب أعناقهم فانهم أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن من فلان نسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فلنضرب اعناقهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم حيث

(قوله عز وجل ربوة ذات قرار ومعين) قيل انها دمشق والربوة هى الربوة والربوة الارتفاع من الارض ذات قرار أى يستقر بها للعمارة ومعين أى ماء ظاهر جار (قوله تعالى رأفة) أى ارق الرحمة (قوله تعالى الرحمن) أى

قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فخير أصحابه فأخذوا الفداء فنزلت الآية فدخل عمر رضى
الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى
فان أجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض
على العذاب أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة وقال صلى الله عليه وسلم لو نزل العذاب
لما برئ منه غير عمر وسعد بن معاذ واذ أخذتموه بالاجتهاد (فكلوا مما غنمتم) أى بعضه
بعد اخراج الخمس (حلالا طيبا) أى خاليا عن الشبهة لان الاجتهاد رفع عنه الاثم فصار
المحرم فى معنى الحلال (و) لكن (اتقوا الله) فلا تتسامحوا فى الاجتهاد (ان الله غفور)
لخطا المجتهدين (رحيم) باعطاء الاجر الواحد لى الاجتهاد اذا لم يتسامح ولما انكسر
قلوب الاسارى بأخذ الفدية بحيث يخاف عليها ضعف الايمان جبرها بقوله (يا أيها النبى)
أى الذى شأنه انباء القلوب تقوية لها (قل) أنت وأصحابك (لمن فى أيديكم من الاسرى)
تخليصا لهم عن أسر الضلال بضعف الايمان (ان يعلم الله) من نظره (فى قلوبكم خيرا) أى
قوة ايمان واخلاصا فيه (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الغنائم والتجارات وغيرهما
فى الدنيا (ويغفر لكم) فى الآخرة (و) ان صدر منكم ما يوجب الاسر أولا اذ (الله
غفور) ولا يعد عليه التعويض بعد تعويضكم الخير فى قلوبكم بدل الشر فانه (رحيم
وان) يعلم فى قلوبهم شرا بأن (يريدوا خيانتك) أى نقض العهد ليأخذوا مثل ما أعطوا
من الفداء أو أكثر منه فعل بهم ثانيا مثل ما فعل بهم أولا (فقد خانوا الله من قبل) بنقض
عهده فى الميثاق الاول (فأمكن منهم) بالقتل والاسر كيف (والله عليم حكيم) وهو
مقتضى علمه بما يستحقونه وحكمته المفيدة كل مستحق حقه ولما وعد الله الاسارى
بتعويض الخير وعد المهاجرين بتعويض أهلهم بالانصار والمجاهدين بتعويض أموالهم
وأنفسهم بالانصار أيضا فقال (ان الذين آمنوا) وهو يوجب قرابة المؤمنين (وهاجروا)
وهو يوجب قرابة المهاجر اليهم (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) وهو يوجب
قرابة من نصرهم (والذين آووا) وهو من خواص الاقارب فى الاصل فيصير الانصار
لهم أهلا (ونصروا) فانهم بذلك صاروا أموالا وأنفسا يحصل فيهما النصر فيصح ان
(أولئك بعضهم أولياء بعض) يقومون مقام أهلهم وأموالهم وأنفسهم (والذين آمنوا
ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا) لانهم ما تركوا شيأ يجعل الانصار
عوضه نعم لهم نوع من القرابة لا يبلغ حد الولاية (و) هو انهم (ان استنصروكم) أى
طلبوا منكم النصر على اعدائهم (فى الدين فعليكم) يجب (النصر) لهم على كل عدو
(الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أى عهد فانهم اذا عادوا من لم يهاجر لا ينصر عليهم بل
يؤمر بالهجرة منهم (والله بما تعملون) من الهجرة وتركها مع امكانها أو بدونها (بصير
و) كيف تتركون نصر من لم يهاجر وان لم تكن بينكم موالاة مع ان (الذين كفروا

المعدن وكل ركية لم تطو
فهى رس (قوله تعالى
ردفا لكم) وردفكم بمعنى
تبعكم وجاء بعدكم
(راسيات) ثابتات (قوله
عز وجل ركوبهم) ما يركبون
وركوبهم فعلهم مصدر
ركبت (قوله عز وجل رحيم)

بعضهم أولياء بعض) وان لم يهاجر اليهم مع انكم (الا تفعلوه) أى نصر المؤمن غير المهاجر
(تكن فتنة) أى الزام الكفر منتشرا (فى الارض و) يتقوى الكفار بحيث يحصل فى الارض
(فساد كبير) فى باب الاعتقادات أو الاعمال (و) كيف لا يكون بين المؤمنين المهاجرين
المجاهدين و بين الذين آووا و نصروا موالاة ظاهرة وقد حصلت الموالاة الباطنة اذ
(الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون
حقا) فيقومون بجميع حقوق الايمان التى منها الموالاة الباطنة المستلزمة للظاهرة
وكيف لا يكون بينهم موالاة وقد أفاد بعضهم بعضا ماهو أعظم الفوائد اذ (لهم مغفرة)
مما هدى بعضهم بعضا (ورزق كريم) مما هدى فى الآخرة ومما نصر فى الدنيا ثم أشار
الى أن من تأخر ايمانه فى حكم من تقدم اذا قام بحقوق الولاية من الهجرة والجهاد فقال
(والذين آمنوا من بعد) فانه (و) ان تأخر ايمانهم لا تنقطع موالاتهم بل (هاجروا
وجاهدوا معكم فأولئك منكم) كمن تقدمكم كيف (و) هذا التأخر لا يزيد على تأخر
وجود بعض ذوى الارحام عن بعض وهو لا يقطع القرابة بل (أولوا الارحام بعضهم أولى
ببعض) من الاجانب وان كان مساويا أو متقدما كيف وايمانه وان تأخر فهو مساو
لايمان من تقدم (فى كتاب الله) والله تعالى حكم بالمساواة فى أمر الموالاة بين ما تقدم
وما تأخر بمقتضى ذلك وان تفاوت فى الفضيلة (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم ما يقتضى
المساواة والتفاوت فيكتب كل شئ بحسب مقتضاه * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب
العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وأصحابه أجمعين

(سورة براءة)

سميت بها لافتتاحها بها ومرجع أكثر ما ذكر فيها اليها وبالتوبة لتكررها فيها فان تبتم
فهو خير لكم فان تابوا وأقاموا الصلوة ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء فان يتوبوا
يك خيرا لهم عسى الله ان يتوب عليهم لقد تاب الله على النبى ألم يعلموا أن الله هو يقبل
التوبة التائبون العابدون وهما أشهر اسمائها وتسمى المقشقشة أى المبرئة عن النفاق
والمبعثرة أى الباحثة عن اخبارهم والمثيرة أى الكاشفة عن احوالهم والمدمدمة أى
المهلكة لهم والمشردة أى المفرقة جمعهم والفاضحة والمخزية والحافرة والمنفرة والمنكلة
وسورة العذاب لتكرر ذلك كله فيها وتركت التسمية فيها لما فيها من الرحمة المستلزمة للامان
المنافى للقتال ونبذ العهود وذلك لانه عليه السلام لما خرج الى تبوك وأرجف المنافقون
نقض المشركون عهودهم فأمر الله رسوله ان يأمر قومه بنقض عهودهم فقال (براءة)
أى هذه قطع علاقة كانت لكم مع المشركين وقطع عصمة كانت لهم منكم وصلت اليكم (من
الله ورسوله) لتنبذوا عهودكم (الى الذين عاهدتم من المشركين) ليس لكم معهم ابتداء
قتال حتى يبلغوا المأمن ولا نكلفهم بالخروج اليه على الفور (فسيحوا فى الارض) أى
فقولوا لهم سيروا فى أرضنا بعد نبذنا العهد آمنين (أربعة أشهر) عشرين من ذى الحجة

أى بال يقال رمّ العظم اذا
بلى كقوله قال من يحيى
العظام وهى رميم أى بالية
(قوله عزو جل فراغ الى
آلهتهم) اى مال اليهم فى
خفاء ولا يكون الروغ
الا خفاء (قوله عزو جل
رواكد) أى سواكن